مدخل في ..

(الموقف من العنصرية)

obeikandl.com

(الموقف من العنصرية)

قبل أن نبدأ الحديث عن (الموقف من العنصرية اليهودية) - بشكل خاص، يحسن بنا، وقد تحدثنا في بداية هذا البحث (١) عن (العنصرية) عند غالبية الأمم، في (القديم والحديث) - بإيجاز - ، أن نتحدث عن الموقف من تلك (العنصرية) بشكل عام ، - ولو بإيجاز أيضاً -، وذلك من خلال مايأتي :

❁ العنصرية عند الأمم :

ذكرنا - فيما مضى - أنه لايكاد يخلو مجتمع من المجتمعات (القديمة والحديثه) - في الكثير الغالب - إلا وهو يعتز بعنصره ، ويرى أنه العنصر الأفضل ، بناءاً على مفاهيم بشرية خاطئة ، اعتمدت على معايير جاهلية واهية ، حول تفوق هذا العنصر - أو ذاك - جنسياً أو بيئياً ، أو شكلياً ، أو لونياً ، أو لغوياً ، أو طبقياً ، ... ، على غيره من العناصر البشرية الأخرى ! . (٢)

وهذه المفاهيم لاتثبت أمام موازين التقويم العلمية، أو الشرعية، على ماسنفصله فيما يأتي :

أولا : الموقف العلمي من العنصرية :

إن الموقف العلمي من هذه المفاهيم العنصرية - السابقة - يقوم على إثبات

---

١ راجع : (العنصرية) ج ١ ص ٢٢.

٢ راجع : (العنصرية عند الأمم) ج ١ ص ٢٤.

oberkandl.com

بطلانها ، وعدم صلاحيتها للتفريق بين البشر ٠

فقد « فحص عدد من العلماء والباحثين هذه الافتراضات ، في ضوء الحقائق العلمية والتاريخية ، فتبين أن جميع أمم العالم خليط من عناصر مختلفة ، وأن مايقال عن اتصاف عرق ما بصفات محدودة تميزه عن غيره ، لم يصح علمياً ، فليس هناك جماعة بشرية يتصف جميع أعضائها ، أو معظمهم بالصفات الجسمانية نفسها » ٠ (١)

والمقام لايتسع للحديث التفصيلي عن تقويم تلك المفاهيم العنصرية الخاطئة عند تلك المجتمعات البشرية (٢) ، وحسبنا منها - هنا - ماسنتحدث عنه - تفصيلا - من تقويم شريحة واحدة من تلك العنصريات تقويماً علمياً ، وهي (العنصرية اليهودية) - موضوع بحثنا هذا - في موضع آخر - إن شاء الله تعالى - ٠ (٣)

ثانياً : الموقف الإسلامي من العنصرية :

تصدر المفاهيم العنصرية - التي تحدثنا عنها قبل قليل - عن الفكر البشري المحض ، المجرد عن هداية (الوحي الإلهي) ٠

ولذلك كان (الموقف الإسلامي من العنصرية) - بشكل عام - يصدر عن ذلك (الوحي) ، الذي يقرر مجموعة من الحقائق التي تشترك فيها البشرية جمعاء ، ومن أهمها :

---

١ عمر عودة الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٨٥ ٠

٢ لمعرفة تقويم العنصرية علمياً - بالتفصيل - ٠ انظر : عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٨٤ - ١٠٤ ، و : صلاح الدين الأيوبي : الإسلام والتمييز العنصري ص ١٣ - ٣٤ ٠

٣ راجع : (التقويم النقدي لدعوى النقاء القومي اليهودي) ص ٢٠٧.

١ - مجالات التماثل بين البشر :

يقرر المنهج الإسلامي أن التماثل أصيل بين البشر ، منذ البداية حتى النهاية ، من حيث :

أ - النشأة :

لقد خلق الله تعالى الناس جميعاً من نفس واحدة ، هي (آدم - عليه السلام -) ، حيث يقول سبحانه :

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءاً ﴾ (١)

ب - الفطـــرة :

لقد غرس الله تعالى « في كل إنسان فطرة نقية سليمة تميل - من حيث الأصل - إلى الحق والخير ، وتنفر من الباطل والشر ، وأودع في النفس الإنسانية الاستعداد إلى الطاعة والاستقامة ، والعصيان والانحراف ، وركز في الطباع البشرية ألواناً من الميول والرغبات » (٢) ، حيث يقول سبحانه :

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل

---

١ سورة النساء ، آية : ١ .

٢ عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ١٤٥ .

لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ .(١)

ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿ ونفس وماسواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾ (٢)

ويقول - أيضاً - سبحانه :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ .(٣)

ج - الكرامة :

لقد ميز الله تعالى الإنسان بالتكريم بين سائر المخلوقات الأرضية ، حيث يقول سبحانه :

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (٤)

وتكريم الله تعالى للإنسان يشمل عدة أمور ، أهمها :

١ - استخلافه في الأرض ، حيث يقول تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها

---

١ سورة الروم ، آية : ٣٠ .

٢ سورة الشمس ، آية : ٧ - ١٠ .

٣ سورة آل عمران ، آيه : ١٤ .

٤ سورة الإسراء ، آية : ٧٠ .

من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالاتعلمون ﴾ ٠(١)

٢ - أمر الملائكة - عليهم السلام - بالسجود له ، حيث يقول تعالى :

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ ٠(٢)

٣ - خلقه في أحسن صورة ، حيث يقول تعالى :

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ ٠(٣)

٤ - اختيار الأنبياء والمرسلين من جنسه ، حيث يقول تعالى :

﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى ﴾ ٠(٤)

٥ - تسخير مافي الكون من أجله ، حيث يقول تعالى :

﴿ وسخر لكم مافي السماوات ومافي الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ ٠(٥)

هذا ، وإن الإسلام قد كرم الفرد الإنساني في كرامة رائعة ينالها منذ تكوينه جنيناً في بطن أمه ، وحتى موته مدفوناً في بطن الأرض ، فهذه الكرامة « ظل ظليل ينشره قانون الإسلام على كل فرد من البشر ذكراً أو أنثى ، أبيض أو أسود ، ضعيفاً أو قوياً ، فقيراً أو غنياً ، من أي ملة أو نحلة فرضت ، ظل ظليل ينشره قانون الإسلام على كل فرد يصون به دمه أن يسفك ، وعرضه أن ينتهك ،

---

١ سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
٢ سورة البقرة ، آيه : ٣٤ .
٣ سورة التين ، آية : ٤ .
٤ سورة يوسف ، آية : ١٠٩ .
٥ سورة الجاثية ، آية : ١٣ .

وماله أن يغتصب ، ومسكنه أن يقتحم ، ونسبه أن يبدل ، ووطنه أن يخرج منه أو يزاحم عليه ، وضميره أن يتحكم فيه قسراً ، وتعطل حريته خداعاً ومكراً ... كل إنسان له في الإسلام قدسية الإنسان ، إنه في حمى محمي ، وفي حرم محرم ، ولايزال كذلك حتى ينتهك هو حرمة نفسه ، وينتزع بيده هذا الستر المضروب عليه ، بارتكاب جريمة ترفع عنه جانباً من تلك الحصانة ، وهو بعد ذلك برىء حتى تثبت جريمته ، وهو بعد ثبوت جريمته لايفقد حماية القانون كلها ؛ لأن جنايته ستقدر بقدرها ، ولأن عقوبته لن تجاوز حدها ، فإن نزعت عنه الحجاب الذي مزقه هو ، فلن تنزع عنه الحجب الأخرى » . (١)

إلا أن الكرامة الإنسانية إذا كانت - كما قررها منهج الإسلام - سياجاً لحرمة الإنسان ، وحصانة له ، وحفاظاً لحقوقه ، « فإنها - من ناحية أخرى - روح تحمل الإنسان على أن يعرف في هذا الوجود مكانته التي بوأه الله إياها ، ووظيفته التي كلفه بها ، ويقتضي ذلك منه أن يتحرك وفق خصائص الإنسانية الأصيلة ، وفطرته الطيبة النقية ، فلا يهبط ، ولايسف ، ولايتقاصر عن السمو والارتقاء ، بل ينطلق في رحاب الجد والعلم والإنتاج ، دون أن يشوب انطلاقه غرور أو ظلم أو كبرياء » . (٢)

د - التكليف :

لقد منح الله تعالى الإنسان العقل الذي أنيط به التكليف الرباني للإنسان

---

١ د/ محمد عبدالله دراز : دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية ص ٣٣ - ٣٤ .

٢ عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

بحمل الإمانة ، حيث يقول سبحانه :

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا ﴾ . (١)

هـ - المسؤولية :

المسؤولية منوطة - أيضاً - بالتكليف الرباني للإنسان ، وذلك بأداء الأمانة حق الأداء ، حيث يقول تعالى :

﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسياً * من اهتدى فإنما يهتدي لنفسة ومن ضل فإنما يضل عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ . (٢)

و - المصير :

لقد قضى الله تعالى على الناس جميعاً بأنهم سينتهون إلى مصير واحد ، وهو (الموت) ، حيث يقول سبحانه :

﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح

---

١ سورة الأحزاب ، آية : ٧٢ .

٢ سورة الإسراء ، آية : ١٣ - ١٥ .

oberkanal.com

عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ومالحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ .(١)

ز - البعث :

سيبعث الله تعالى الناس جميعاً بعد موتهم ليوم الفصل ، حيث يقول سبحانه :

﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾ . (٢)

ح - الحساب :

سيحاسب الله تعالى كل إنسان يوم القيامة على كل أعماله التي عملها في الحياة الدنيا ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، حيث يقول سبحانه :

﴿ إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم ﴾ .(٣)

ط - الجـــزاء :

الجزاء هو المحصلة النهائية للحساب ، حيث الخلود لجميع الناس : إما في الجنة بالنسبة للمسلمين ، وإما في النار بالنسبة للكافرين ، حيث يقول تعالى :

---

١ سورة آل عمران ، آية : ١٨٥ .

٢ سورة المجادلة ، آية : ٦ .

٣ سورة الغاشية ، آية : ٢٥ - ٢٦ .

obeikandl.com

﴿ ففريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ ٠ (١)

فالبشر يشتركون جميعاً في كل هذه المجالات - كما رأينا - ابتداءاً بوجودهم في الحياة الدنيا ، وانتهاءاً بخلودهم في الدار الآخرة ٠

٢ - معيار التفاضل الحقيقي بين البشر :

يرفض المنهج الإسلامي كل أسباب التفاوت المادية ، التي تعتبرها المجتمعات الجاهلية معياراً للتفاضل بين البشر ، كالجنس ، أو البيئة ، أو الشكل ، أو اللون ، أو اللغة ، أو الطبقة ، أو غيرها من المعايير الجاهلية ، مادامو ا يشتركون في كل المجالات منذ البداية حتى النهاية ٠

ولذلك ، فإن المعيار الذي يقره المنهج الإسلامي أساساً للتفاضل بين البشر يكمن في (دين الإسلام) ، الذي أرسل الله تعالى به جميع رسله - عليهم السلام - ، وعلى رأسهم رسول الإنسانية جمعاء محمد ﷺ ، حيث يقول تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ ٠ (٢)

إن ذلك المعيار - الذي جاء به الإسلام - معيار معنوي ، يستطيعه كل إنسان - مهما كان جنسه ، أو بيئته ، أو شكله ، أو لونه ، أو لغته ، أو طبقته ، ٠٠٠ -، ألا وهو (التقوى) ، فعلى قدر تقوى الإنسان لربه - تعالى - تكون أفضليته عنده ، حيث يقول سبحانه :

---

١ سورة الشورى ، آية : ٧ ٠

٢ سورة سبأ ، آية : ٢٨ ٠

obeikandl.com

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ٠ (١)

ويقول (٢) الرسول ﷺ :

« يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لافضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى » (٣)

ومن هنا يأتي الحل الإسلامي لـ (مشكلة العنصرية) :

٣ - الإسلام والمشكلة العنصرية :

يقوم المهنج الإسلامي في موقفه من (المشكلة العنصرية) على إزالة رواسبها البغيضة من نفوس اتباعه المسلمين ، وذلك من خلال مايأتي :

أ - غرس العقيدة الإسلامية في النفوس :

إن المتأمل في طبيعة المجتمع الإسلامي يلاحظ ، أنه يتميز عن سائر المجتمعات الأخرى بأنه مجتمع انبثق من العقيدة الإسلامية ، ولهذا فالعلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراده تقوم على أساس هذه العقيدة ٠(٤)

---

١ سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

٢ هذا الحديث يرويه رجل من أصحاب النبي ﷺ .

٣ مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٤١١ . وهذا الحديث (صحيح الإسناد). انظر :ابن حجر:تقريب التهذيب ص ١٠٥ و ٢٣٣ و ٢٩٥ و ٥٤٦ .

٤ انظر : عابد المشوخي : العنصرية عند الأمم ص ٣٩٥ .

ولذلك ، دعا القرآن الكريم الناس جميعاً إلى الدخول في هذه العقيدة ، حيث يقول تعالى :

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ ٠ (١)

فمن دخل في نطاق هذه العقيدة من كل جنس، أو بيئة، أو شكل، أو لون، أو لغة، أو طبقة، أو غير ذلك، أصبح عضواً فيها ٠ (٢)

أما الاختلاف في كل ذلك - الذي ذكرناه - « فإنه في المفهوم الإسلامي آية من آيات الله عز وجل ، شأنه في ذلك شأن التنوع في خلق السماوات والأرض ، من حيث اختلاف طبيعة الأجرام السماوية ، وتعدد أحجامها وأشكالها ونواميسها ، ومن حيث اختلاف طبيعة الأرض ، ومافيها من تعدد الأجواء والأحوال ، وأنواع التربة ، ونحو ذلك » (٣) ، وفي هذا يقول تعالى :

﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ ٠ (٤)

ولذلك ، فإن تقديم الإسلام لهذا الأساس العقدي لإقامة المجتمع البشري ، «كان حدثاً ضخماً وفريداً في التاريخ البشري ماكان الناس يعرفونه ولم يخطر ببالهم ، فالرومان واليونان والفرس والعرب قبل الإسلام (٥) ، أقاموا مجتمعاتهم على

---

١ سورة البقرة ، آية : ٢١ ٠

٢ انظر : عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ١٤٨ ٠

٣ المرجع السابق ص ١٤٨ ٠

٤ سورة الروم ، آية : ٢٢.

٥ راجع : (العنصرية القديمة) ج ١ ص ٢٤.

أساس الجنس ... ، وبنوا على هذا الأساس أباطيل كثيرة ، تولد عنها الظلم والبغي وإهدار كرامة الإنسان ، فلما جاء الإسلام بهذا الأساس الجديد لبناء المجتمع ونظامه كان ذلك انقلاباً هائلا في الحياة البشرية ، تكريماً للإنسان ، ووضعاً للأمور في نصابها » (١) الصحيح .

ب - تحقيق القيم الإسلامية الكبرى في النفوس :

إن القيم الإسلامية الكبرى هي : مجموعة الأخلاق ، التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية ، وتجعلها متكاملة قادرة على التعامل الفعال مع أفراد المجتمع (٢) الإنساني قاطبة .

وإذا كانت فجاج الأرض قد توزعت بني آدم ، فتباينت فيها أجناسهم ، وأشكالهم ، وألوانهم ، وألسنتهم ، ومعايشهم ، فإن تلك القيم الخلقية التي توجب الإخاء ، والعدالة ، والمساواة ، والإحسان ، وغيرها ، كفيلة بمد جسور التعارف بينهم (٣) ؛ ليتم من خلاله التعاون في كافة مجالات الحياة ، وأعظمها الدعوة إلى دين الإسلام ، الذي يكفل لمعتنقيه السعادة في الدارين : الدنيا ، والآخرة ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل

---

١ عبدالكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٩٧ .

٢ انظر : د/ جابر قميحة : المدخل إلى القيم الإسلامية ص ٤١ .

٣ انظر : عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ١٤٨ .

لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ (١)

وفي ذلك استلال لمظاهر العنصرية من النفوس المؤمنة تجاه كل إنسان - مهما كان جنسه، أو بيئته، أو شكله، أول لونه، أو لغته، أو طبقته، .... - (٢) ، فلا فضل لأحد على أحد ، إلا بقدر تقواه لمولاه - تعالى - ، وهذا أمر مبذول لجميع البشر دون استثناء - كما ذكرنا قبل قليل - . (٣)

وحينما تفقد هذه التقوى - كما هو حال غير المسلمين - ، فلا يلزم من ذلك التقاطع والتناكر ، وإنما لابأس من التعارف والتعاون ، بشرط تحقيق مبدأ (الولاء والبراء) في هذه المسألة .

هذا فيما يتعلق بـ (الموقف من العنصرية) - بشكل عام - ، أما موضوع بحثنا (الموقف من العنصرية اليهودية) - بشلك خاص - ، فهو ما سنتحدث عنه - إن شاء الله تعالى - تفصيلا في الفصول التالية :

---

١ سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

٢ لمزيد من المعلومات حول (تقويم العنصرية إسلامياً) . انظر : عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ١١٩ . ١٨١ ، و : صلاح الدين الأيوبي : الإسلام والتمييز العنصري ص ١١٦ - ١٨٠ ، و : عابد المشوخى : العنصرية عند الأمم ص ٣٤٥ - ٤٣٩ .

٣ راجع : (معيار التفاضل الحقيقي بين البشر) ص ١٤.